مداخلة بعنوان

فلسفة التربية والتعليم عند عبد الحميد بن باديس الجزائري

مقدمة للمؤتمر الافتراضي الأول للتربية والتعليم بين واقع التحديات والرهانات المستقبلية

المدرسة العليا للأساتذة بوهران بالتعاون مع مخبر حقوق الطفل LADREN

كلية الحقوق والعلوم السياسية

الدكتور: رياض عميراوي، أستاذ محاضر "أ" جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

El Emir Abd-Elkader University Of Islamic Sciences

تمهيد:

يعد مجال التربية والتعليم أخصب المجالات وأهمها بلا منازع، فعليه تقوم الحضارات وتُبنى الأمم وتُشيد الأكام وترتفع الهامات على نتائجها الانسانية، ولكل أمة مفهوم خاص لهذه المسألة ولكل أمة نظرتها المتميزة للأشياء، قد نشترك مع باقي الأمم في خوض مجال التربية والتعليم من حيث النتائج المُتطلع لها، ولكن هذا لا يمنع أن تتغاير المفاهيم واختلاف الرؤى حوله، أو بالأحرى أن لكل بلد فلسفته الخاصة. ولعل مجال التربية مجال مفتوح وهو امتداد لما دأب عليه علماؤنا ومصلحونا من فكر منبثق من مجموع القيم الاجتماعية والدينية والأعراف التي بني عليه مجتمعنا باعتباره مجتمع عربي مسلم.

وإذ كانت جمعية العلماء المسلمين رمز العلم والأدب، فقد حرص أصحابها على وضع مناهج تربوية إصلاحية على أسس عقدية وفلسفة تتماشى وثقافتنا الدينية ....

فما هي نظرت الشيخ عبد الحميد ابن باديس أحد رموز وأعمدة الفكر الاصلاحي التربوي في الجزائر؟؟

يمكن وضع خطة لهذا البحث كالتالي:

خطة البحث

مقدمة

التعريف بشخصية البحث عبد الحميد بن باديس

تعريف التربية والتعليم

مفهوم التربية والتعليم عند جمعية العلماء الجزائرين (نتطرق الى بعض أقوال أعضاء الجمعية)

مفهوم التربية والتعليم عند عبد الحميد بن باديس

دور التربية والتعليم في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية

الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند ابن باديس

المبادئ والقيم التي تقوم عليها فلسفة التربية والتعليم عند عبد الحميد بن باديس

منهج ابن باديس في التربية والتعليم

خاتمة

المصادر والمباحث

1- مقدمة

2- **التعريف بشخصية عبد الحميد ابن باديس:**

"ولد الشيخ عبد الحميد ابن باديس بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري في ثاني الربيعين من سنة 1307 هـ الموافق لليلة الجمعة 04 ديسمبر 1889 م"[1]وينحدر من أسرة مشهورة بالعلم والثراء والجاه، كانت منذ القديم ذات نفوذ سياسي في المغرب الإسلامي نبع منها شخصيات تاريخية لامعة منها بلكين بن زيري(ت 984م) والمضر بن باديس (ت1061م) الذي كان ابن باديس كثيرا ما يفتخر به"[2]، لأنه عمل على محاربة البدع والضلالات بكل الطرق.

" تربى الشيخ ابن باديس تربية إسلامية أصيلة ساهمت فيها أسرته، خاصة والده محمد بن المصطفى، وأمه زهيرة بنت جلول التي كانت هي الأخرى تنتمي إلى أسرة شريفة عرفت بنسبها ومكانتها في قسنطينة"[3]، وقد عرف على ابن باديس دفاعه المستميت على الدين الإسلامي الحنيف، وعن اللّغة العربية الشريفة، وعن الوطن الجزائري، لذا فقد ذاع صيته وعمّت شهرته الوطن العربي كافة.

توفي ابن باديس مساء يوم الثلاثاء 08 ربيع الأول سنة 1359هـ، الموافق ليوم 16 أفريل 1940م، متأثرا بمرضه، ودفن رحمة الله عليه في مقبرة آل باديس بقسنطينة.

3- **تعريف التربية والتعليم:**

أ- **تعريف التربية**

التربية لغة: قال الراغب الأصفهاني: الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ. وقيل: (لأن يربّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن[4]، وقال البيضاوي: التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً[5] .

---

[1]- مصطفى محمّد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997م، ص 61.

[2]- حمدي لكحل: مشروع ابن باديس الإصلاحي بين المحافظة على القيم والتّفتّح على الآخر، مجلّة دراسات إنسانية، جامعة مستغانم، الجزائر، 2015م، ص 81.

[3]- حمدي لكحل: مشروع ابن باديس الإصلاحي بين المحافظة على القيم والتّفتّح على الآخر، المرجع السابق، ص 82.

1-المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم (ت: 502 هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودى، الناشر: دار العلم الدار الشامية. مكان الطبع: دمشق ـ بيروت. سنة الطبع: 1412 هـ(1 / 336).

[5]- تفسير البيضاوي: أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي(ت: 675هـ)، الناشر: دار الفكر -بيروت. عدد الأجزاء:5. (1 / 51).

وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام عندما حكى قول فرعون :﴿ ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا ...﴾ الآية {الشعراء:18} قال ابن كثير: ما أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا, وأنعمنا عليه مدة من السنين[6].

وقد ورد في القرآن لفظ التزكية بمعنى التربية حيث قال تعالى :﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾{البقرة:151 }. قال ابن كثير :وَيُزَكِّيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودَنَس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور [7].وهي التربية..

التربية اصطلاحا: عرفها علماء التربية بأنها: تنشئة الفرد وإعداده على نحو متكامل في جميع الجوانب العقدية والعبادية والأخلاقية, والعقلية والصحية, وتنظيم سلوكه وعواطفه في إطار كلي يستند إلى شريعة الإسلام, من خلال الطرق والإجراءات التي تقبلها الشريعة[8] .

ب ـتعريف التعليم:

هو "التدريس وهو مقابل للتعلم تقول: علمته العلم فتعلم، ويشترط في التعليم توفير الشروط التي تسهل طلب العلم على الطالب داخل المدرسة أوخارجها، والتعليم أخص من التربية، لأن التربية تشمل نقل المعلومات الى الطالب مع العناية بتبديل صفاته وتهذيب أخلاقه، والتعليم لا يشمل الا نقل المعلومات بطرق مختلفة، ومفهوم التعليم متضمن مفهوم الحاجة الى المعلم"، وعن طريق "التعليم يحقق الفرد كفاءته ونموه الفردي، أو هو العملية المقصودة التي تؤدي بواسطة مؤسسات أنشئت خصيصا لهذا الغرض، ويقودها أفراد أختيروا ودربوا للقيام بهذه العملية، بهدف الحصول على المعرفة واكتساب المهارة وتنمية قدرات وطاقات خاصة" .

3- مفهوم التربية والتعليم عند عبد الحميد بن باديس

المعروف عن نشاط الشيخ بن باديس أنه نشاط متعدد الجوانب كثير الاهتمامات، وأبرز هذه الجوانب وأقواها الجانب التربوي التعليمي الذي كرس له 27 عاما من حياته إلى جانب المهام الأخرى التي كان يرى أنها مهام مكلمة للنشاط التعليمي أو هي امتداد له، النشاط الذي جعله الأساس لكل عمل إصلاحي و المدخل لكل تغيير اجتماعي وثقافي، ونهوض فكري و سياسي. من هنا يمكن القول إن لابن باديس فلسفة تربوية بينة المعالم، واضحة الأهداف، سليمة الاتجاهات، بعيدة المقاصد.

يقول في هذا الصدد عند تحديد المهمة التي أنشأت من أجلها جمعية التربية والتعليم الإسلامية :

---

[6]- تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت: 774 هـ(تحقيق: سامي بن محمد سلامة.، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م. عدد الأجزاء:8، (443/3).

[7]- المصدر السابق (1 / 464).

[8]- أصول التربية الوقائية للطفولة للدكتور حسين با نبيلة، ص 15-16، وتربية الأطفال لمحمد حامد الناصر، ص: 25.

بنى القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية : على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم، (أي تحقيق كينونة الفرد وكينونة الجماعة)، ومن الوجهة التعليمية على تثقيف لأفكارهم بالعلم (المعرفة) باللسانين : العربي والفرنسي أي إكسابهم الجوانب المعرفية النظرية (ومن الوجهة العملية التطبيقية) تعليمهم (الحرف الصنائع أي إكسابهم القدرة على توظيف المعارف المكتسبة ، وتطبيق النظريات ، وتدريبهم على المهارات اليدوية) ومن الوجهة المالية : تعويد الأمة على التبرع المنظم ، في المشاريع التي تعود عليها وعلى أبنائها بالنفع العام، ويقصد هنا (الوجهة السلوكية ، والخلقية والاجتماعية وتربية الناس على البذل والعطاء ، والتكافل الاجتماعي...الخ.

والتربية من جهة أخرى (في نظره) هي سعي متواصل إلى تحقيق ما نستطيع من كمال في حياتنا أي أن العمل التربوي ينبغي أن يستهدف ترقية أفكارنا وإثراء خبراتنا وإذكاء وعينا ، وتهذيب سلوكنا، تقوية إرادتنا، ليحقق في ذواتنا وفي مجتمعنا ما نتطلع إليه من قوة ورقي، ويؤكد هذا المعنى في النص التالي : "إن كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية، والمثال الكامل لذلك هو حياة محمد (ص) في سيرته الطيبة".

ولكي يتحقق للإنسان الكمال الذي يتطلع إليه يجب أن يسمو العمل التربوي في نظر ابن باديس -إلى درجة يصبح مضمونه خدمة الإنسانية ومساعدة الفرد على النمو في هذا الاتجاه ، ويقول ابن باديس : "إن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها، والحدب عليها في جميع أوطانها، واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو ما نقصده ونرمي إليه، ونعمل علة تربيتنا وتربية من إلينا عليه".

لعل القصد هنا هو التربية من تعود إلينا المسؤولية عليه). والكمال الإنساني عند ابن باديس متوقف على قوة العلم وقوة الإرادة وقوة العمل .

ويذكر ابن باديس أن حياة الإنسان مبنية على الإرادة والفكر والعمل أي على الجوانب التي تشكل شخصية الإنسان حيث يقول :"حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها مبنية على هذه الأركان الثلاثة : الإرادة، الفكر والعمل وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لابد منها فالعمل متوقف على البدن والفكر متوقف على العقل والإرادة متوقفة على الخلق، في التفكير الصحيح من العقل الصحيح ، والإرادة القوية، من الخلق المتين، والعمل المفيد من البدن السليم فلهذا كان الإنسان مأمور بالمحافظة على هذه الثلاثة : عقله وخلقه، وبدنه، ودفع المضار عنها ومن هذا النص سنستخلص أن ابن باديس يرى أن التربية الحقة هي التي تتوجه العناية بالعقل والوجدان والنفس والبدن والسلوك وكل الجوانب التي تتألف منها شخصية الإنسان.

2_منهج ابن باديس في التربية والتعليم:

يقول ابن باديس في وصيته للمسلم الجزائري:« كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي تمدنك ورقيك» (08):(8 آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 4 ، ص: 44.

يعتمد ابن باديس في مهمته التربوية على منهج متكامل قائم على ضرورة المزاوجة بين الجانب النظري والتطبيقي من أجل بناء شخصية متكاملة، أما الجانب النظري فيتمثل في تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية اسلامية قائمة على ضرورة المحافظة على دينهم وشخصيتهم ولغتهم، أما الجانب العملي أو التطبيقي فيتجسد في تعليمهم الصنائع والحرف، وتدريبهم على المهارات اليدوية، بالإضافة الى تعويدهم على الأعمال الخيرية التي تعود بالنفع عليهم وعلى الأمة أجمع كالأعمال التطوعية، فالتربية من منظور ابن باديس هي "سعي متواصل الى تحقيق ما نستطيع من كمال في حياتنا، أي أن العمل التربوي ينبغي أن يستهدف ترقية أفكارنا واثراء خبراتنا واذكاء وعينا، وتهذيب سلوكنا، وتقوية ارادتنا ليحقق في ذواتنا وفي مجتمعنا ما نتطلع اليه من قوة ورقي" ، ولكي يتحقق للإنسان هذا التكامل على أرض الواقع، يجب أن يسموا العمل التربوي ويرتقي الى مستوى خدمة الانسانية في جميع شعوبها، باعتبار أن التربية ليست حكر قومي كما يعتقد البعض، بل هي امتداد كوني وانساني، ويؤكد ابن باديس أن حياة الفرد مبنية على الارادة والفكر والعمل، وفي ذلك يقول "حياة الانسان من بدايتها الى نهايتها مبنية على هذه الأركان الثلاثة: الارادة، الفكر، والعمل، وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لابد منها، فالعمل متوقف على البدن، والفكر متوقف على العقل، والارادة متوقفة على الخلق، فالتفكير الصحيح من العقل الصحيح، والارادة القوية من الخلق المتين، والعمل المفيد من البدن السليم، فلهذا كان الانسان مأمور بالمحافظة على هذه الثلاثة: عقليه، خلقه، وبدنه، ودفع المضار عنها"، وبالتالي فالتربية الحقة حسب ابن باديس هي التي تخص بالعناية العقل، والوجدان، والنفس، والبدن، والسلوك، وجميع الأبعاد المشكلة لشخصية الانسان.

إن التربية عند ابن باديس لا تقتصر على المدرسة وحدها، نعم يولي الرجل للمدرسة والعلم أهمية كبرى ويقرر أن « العلم قبل العمل ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال»[9] ، ولكنه يؤكد من جانب آخر أن « للجمعية نيات أخرى تنوي أن تقوم بها في المستقبل إن شاء الله ، تنوي أن تبعث البعثات العلمية إلى الخارج وتسعى جهدها في تحقيق ما ينص عليه قانونها الأساسي من تأسيس المصانع»[10]، ويصرح: « إننا نريد للمسلمين (= الجزائريين) أن يبلغوا في المعارف ، والفلاحة ، والتجارة ، والصناعة إلى مستوى إخوانهم الفرنساويين»[11]

---

[9]- المصدر نفسه، ص: 212.

[10]- نقلا عن: د. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ص: 242.

[11]- المرجع نفسه، ص: 252.

ب/ يلزم عن ذلك أن مجال التربية عنده يتسع ليشمل شخصية الفرد ككل متكامل تبعا لرأيه في طبيعة الإنسان محور التربية ، والعملية التربوية تستغرق الطفل والمدرسة والمجتمع. وبالفعل فالتربية من حيث هي أداة لنهضة الأمة ينبغي أن تعتني بالفكر « هذه القوة التي كان بها الإنسان سيد العالم، وسيطر على عناصر المادة وأنواع الأحياء»[12]، والغرائز إذ « ليس الإنسان مطبوعا على الخير فقط، ولا على الشر فقط (...) ونهضة هذه الغرائز بمقاومة ما فيه من أصول الشر، وإنماء ما فيه من أصول الخير»[13]، والعقائد التي « كثيرا ما تكون متلقاة بطريق التسليم والتقليد، وكثيرا ما تنطوي حينئذ على باطل وفساد»[14]، والأعمال « وهي مبنية على ما عنده من فكر وغرائز وعقائد، فإذا كانت هذه مستقيمة كانت أعماله مستقيمة»[15].

ج/ بناء على ما سلف، سلك ابن باديس كل وسيلة متاحة يومئذ لبلوغ مراميه، أدرك خطورة وسائل الإعلام والصحافة باعتبارها وسيلة للتوعية، فأصدر جريدة المنتقد ، والشريعة ، والسنة ، والصراط ، والبصائر، والشهاب. وأنشأ المدارس والمعاهد كالجامع الأخضر ، ومدرسة التربية والتعليم ، ومعهد ابن باديس في قسنطينة ، ودار الحديث في تلمسان. وقام بالوعظ والإرشاد بقصد الاتصال مباشرة مع الجماهير.

د/ فيما يتعلق بالمضامين أو المحتوى الذي يشكل مواد النشاط التعليمي كوجه من وجوه العملية التربوية، يرى ابن باديس أن المواد التي ينبغي إدراجها ضمن المنهاج التعليمي تتمثل في:

-دراسة القرآن والحديث وما يتصل بهما من علوم.

-دراسة العقائد والعلوم الشرعية.

-دراسة اللغة العربية.

-دراسة المواد الاجتماعية كالأخلاق والتاريخ والجغرافيا.

-دراسة المواد التي تنمي القدرة على الاستدلال كالمنطق والحساب والهندسة والفلك وعلوم الطبيعة.

الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند ابن باديس:

قام الفكر التربوي عند ابن باديس على أبعاد فلسفية، اعتمد فيها على الايمان المطلق بتكوين عقل الفرد، واعتباره أساسا للمجتمع الصالح، حيث عكف في دروسه على " أساس الاتصال المباشر بتلاميذه وتكوين علاقات فردية، يستشف من خلالها روح الفرد، ويتمكن من التأثير فيه، والجدير بالذكر أن ابن باديس قد استمد

[12]- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص: 47.

[13]- المرجع نفسه، ص:48.

[14]- المرجع نفسه، ص:48.

[15]- المرجع نفسه، ص:49.

فلسفته التربوية من طبيعة المجتمع الجزائري "، وقد أشار في ذلك الى أهمية التربية الاسلامية والعقيدة في تكوين الفرد كأساس للنهوض بالمجتمع.

ومن هنا فان فلسفة التربية عند ابن باديس قامت على أساس الاستثمار في العقل البشري، لأن صلاح المجتمع مرتبط بصلاح الفرد، وصلاح الفرد مرتبط بصلاح المجتمع، لذلك يؤكد ابن باديس على ضرورة هدم كل الأفكار الغربية الدخيلة على المجتمع الجزائري، والمخالفة لعاداته ومقوماته، وعليه فان اصلاح ابن باديس التربوي هو اصلاح ذاتي داخلي يمس جميع أبعاد الانسان السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية.

ويولي ابن باديس أهمية بالغة للعلم والمدرسة على حساب العمل. فمن دخل العمل من غير علم لم يسلم من الضلال، وبذلك فهو يجعل من العامل النظري المتعلق بالعلم منطلقا أساسيا له، نحو الوصول الى الهدف النفعي المتعلق بممارسة التجارة والصناعة والفلاحة، وكأن ابن باديس يؤسس لمرحلة المجتمع العلمي المبني على العقلانية لا المصادفة والتقليد، وهو مسعى الطريقة التربوية المعاصرة المتمثلة في المقاربة بالكفاءات.

كما يهدف ابن باديس في فلسفته التربوية هذه الى الانفتاح على الآخر، وخدمة الانسانية بشكل العام، فهو يرفض الانغلاق على الذات، واقصاء الآخر لأن خدمة الوطن ومحبته هي خدمة ومحبة للانسانية جمعاء، والتوصل الى هذه الدائرة الانسانية الواسعة يحتاج الى واسطة متمثلة في جملة من الوسائل التي تحقق هذه الخدمة، ويعتقد أن غياب الأخلاق ناتج عن عدم فهمنا الاسلام، وعن سوء التربية داخل المجتمع، وهي الفكرة نفسها التي نلتمسها عن جون ديوي الذي يقول "اذا كانت موازين الأخلاق منحطة فذلك راجع الى نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الاجتماعية"، وبالتالي فان التربية هي العامل الأساسي الذي يضبط سلوك الفرد في المجتمع، وما ذهب اليه ابن باديس ذهب اليه أيضا حكيم الصين (كونفوشيوس) الذي أعطي للتربية الخلقية عن طريق التعليم مكانة رفيعة، وذلك لما قرر أنه اذا أردنا نشر خير الفضائل بين البشر، وجب فعل ذلك على مستوى الوطن أولا، وكذلك الفيلسوف الألماني كانط الذي نادى بالعالمية في كتابه (مشروع السلام الدائم) سنة 1955م، وقرر فيه أن كل أمة في العالم لها الحق في تقرير المصير، وأنه لا يجوز لأية دولة أن تتدخل في نظام أو حكم دولة أخرى".

وقد كان ابن باديس يتوجه بالنصح لمعلمي جمعية العلماء المسلمين بضرورة السؤال عند الحوار والمناقشة، كي لا يكون المتعلم مجرد آلة صماء تستقبل كل ما يملى عليها دون تساؤل واستفسار، وهذا ما نلمسه عند جون ديوي الذي يؤكد الى ذلك قائلا " من دون وجود سؤال ما أو شك ماثل في العقل يكون حدوث الانتباه مستحيلا...فاذا لم توجد قوة جاذبة أصلية في المادة فحينئذ اما أن يحاول المعلم حسب مزاجه وتدريبه وتقاليد

المدرسة وتوقعاتها أن يحيط المادة بجاذبية خارجية، وذلك بأن يفرض أمرا ويقدم رشوة ليجعل الدرس شيقا للمحافظة على الانتباه، أو أن يلجأ الى التخويف كالتهديد بالرسوب" .

وما يمكن استنتاجه أن ابن باديس يمتلك بالفعل مشروعا تربويا متكاملا قائم على أبعاد وأسس فلسفية انسانية وكونية، وذلك باعتراف فلاسفة الغرب ومفكريهم، حيث يذكر "الفيلسوف الكندي أندري درليك، الذي ناقش أطروحة الدكتوراه بكندا حول عبد الحميد ابن باديس، أن النظام التربوي عنده يكتسي طابع فلسفي عقلاني، ويقول في ذلك " ان اهتمامات ابن باديس امتدت من النواحي الدينية الى الشؤون السياسية، ولمس تفكيره الأمور الاجتماعية، والثقافية، لقد عبر عن أرائه حول مسألة الحضارة للجزائريين وللبشرية أجمع" .

اذن فابن باديس كانت له فلسفة تربوية قائمة على تكوين الفرد الجزائري وتنمية قدراته العقلية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية لتكريس العدالة والانسانية، وقد جعل ابن باديس من الوعي الفلسفي المرتبط بالتربية أساسا لتصحيح العقائد وتقويم الأخلاق من أجل اعداد جيل قادر على مواجهة كل المخاطر، وقد أكد المفكر الفرنسي روجي غارودي على الدور الكبير الذي قام به ابن باديس رفقة زميله الابراهيمي في الحفاظ على المقومات الوطنية وجعلها أساسا للتربية بقوله "كان الشيخ الابراهيمي، مع الشيخ ابن باديس روح ثورة ثقافية حقيقية في الجزائر جعلت بالإمكان عام 1962م، تحرير الشعب الجزائري من مئة وثلاثين عاما من الضياع واستعادة هويته العربية الاسلامية".

دور التربية والتعليم في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية.

لقد "استمدّ ابن باديس فلسفته التربوية من خصوصيات المجتمع الجزائري بشكل خاص، ومن الفكر الإسلامي بشكل عام، وقد قامت تجربته التربوية على استيعاب دقيق لوضعية الجزائر المحتلة، منطلقا من تأمين الأرضية الخصبة للمواجهة المطلوبة التي أفرزها الاستعمار، والمتمثلة في المؤامرة ضد الهوية الوطنية"[16]، القائمة على الفرنسة والتمييز العرقي، باعتبار أن التصدي لهذه المؤامرة لا يكون إلا عبر وسيلة التربية والتعليم التي تهدف إلى نشر الأخلاق الفاضلة، والمعارف العربية والقيم الروحية والدينية من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، وإنقاذها من المخاطر التي تهدّدها، وبغرض تحقيق نهضة جديدة وتقدّم صحيح من خلال تكوين رجال ونساء ينهضون بالأمّة ويحرّرونها من الإستدمار.

وكانت مهمّة ابن باديس التربوية والتعليمية توعوية بعيدة عن السياسة في ظاهرها وهو ما تجلى بوضوح في المادة الرابعة لجمعية التربية والتعليم الإسلامية بقوله: "بما أن مقصد الجمعية هو التربية والتعليم لا غير، فإنها تحرّم على

---

[16]- الدّراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ط1، دار صبحي، غرداية، الجزائر، 2015م، ص44.

نفسها الخوض في المسائل السياسية والاختلافات الحزبية والمذهبية، والشخصية بأيّ وجه من الوجوه"[17]، وبالتالي فالمهمّة التربوية تبدوا مقرونة بالمهمّات الأخرى خاصة منها الثقافية والاجتماعية.

وقد لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا كبيرا لا يمكن إنكاره في مجال التربية والتعليم، حيث تمكنّت في ظرف قصير من أن تصبح منظمة جماهيرية لها أتباع وأنصار من كل ربوع الوطن، ولها مساجد ومراكز تعليم استطاعت من خلالها توحيد البلاد فكريا وروحيّا، "ولعلّ الجمعية قد كانت أول المنظمات التي كسرت الحدود الجهوية، وذلك بتعيينها للمعلّمين خارج مناطقهم الأصلية، وتوجيه من كان منهم في شرق البلاد إلى غربها"[18] وهو الذي طبّق على قادة الثورة، وبذلك فقد شكّلت جمعية العلماء المسلمين وطن آخر هو الوطن الأصح الذي ينتسب إليه أبناء الشعب، ليس الوطن الذي صوّرته فرنسا وأتباعها، وقد عبّر عن هذا المؤرخ أبو القاسم سعد الله بقوله" إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اهتمت بالإنسان الجزائري، فجعلته هو الهدف في كل تحرّكاته، خاطبت عقله بالعلم والإصلاح والوطنية، وخاطبت عاطفته بالدّين والخطابة والتاريخ، وأنشأت لذلك جمهور من الدعاة والخطباء والمؤرخين والصحفيين والشعراء والمعلّمين، ووفّرت لهم مراكز تمثلت في المساجد والمدارس والنوادي والصحف والكتب، فكانت جمعية العلماء من الناحية الفكرية على الأقل عبارة عن دولة داخل دولة، فكان العاملون فيها جنودا في معركة وراءها إذا كسبوها والنّصر والعزّة للوطن والإسلام والعروبة"[19]

وقد مضى ابن باديس في مهمته التربوية هذه إلى اعتماد منهج متكامل قائم على ضرورة المزاوجة بين الجانب النظري والتطبيقي من أجل شخصية متكاملة، أما الجانب النظري فيتمثل في "تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية، بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم"[20]، "ومن الوجهة العملية أو التطبيقية تعليمهم الحرف والصنائع، أي إكسابهم القدرة على توظيف المعارف المكتسبة وتطبيق النظريات، وتدريبهم على المهارات اليدوية"[21]، بالإضافة على تعويدهم على الأعمال الخيّرية التي تعود بالنّفع عليهم وعلى أبنائهم كالأعمال التطوعية.

---

[17]-. عمّار الطالبي: آثار ابن باديس، ط3، ج2، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997م، ص 186.

[18]- حمدي لكحل: مشروع ابن باديس الإصلاحي بين المحافظة على القيّم والتفتّح على الآخر، مرجع سابق، ص 108.

[19]- المرجع نفسه، ص109.

[20]- حمدي لكحل: مشروع ابن باديس الإصلاحي بين المحافظة على القيّم والتفتّح على الآخر، مرجع سابق، ص: 128.

[21]- الدّراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص 48.

الخاتمة

في آخر هذا البحث ندون بعض النتائج والتوصيات:

1- تختلف النظرة الفلسفية للأشياء بحسب الخلفيات العقدية والفكرية لكل أمة ولكل عالم.
2- يوازي عبد الحميد ابن باديس بين الاصالة والحداثة في الطرح والايمان بالعمل .
3- أساس التربية والتعليم أساس تربوي أخلاقي بالدرجة الأولى.
4- يعتمد ابن باديس منهجا متكاملا قائما على ضرورة المزاوجة بين الجانب النظري والتطبيقي.
5- من أهداف التربية والتعليم عند ابن باديس الحفاظ على الهوية الوطنية وثوابت الأمة.
6- فلسفة التربية عند ابن باديس قامت على أساس الاستثمار في العقل البشري.

ومن أهم التوصيات:

1- الرجوع الى الأصول الثابتة في اعتماد منهج تربوي متكامل يخدم الدين والوطن.
2- البحث في مدى ترسيخ القيم الاجتماعية والثقافية لدى المعلم والمتعلم وتكوينه في مجال التربية والتعليم.
3- استحضار المبادئ الأخلاقية والأبعاد الفلسفية لكل عمل اجتماعي أو اقتصادي التي تعتمدها الأمة ككيان عربي مسلم

مراجع البحث:

1) مصطفى محمّد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997م.
2) حمدي لكحل: مشروع ابن باديس الإصلاحي بين المحافظة على القيم والتّفتّح على الآخر، مجلّة دراسات إنسانية، جامعة مستغانم، الجزائر، 2015م.
3) المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم (ت: 502 هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودى، الناشر: دار العلم الدار الشامية. مكان الطبع: دمشق ـ بيروت. سنة الطبع: 1412 هـ.
4) تفسير البيضاوي: أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي(ت: 675هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
5) تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت: 774 هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة.، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

6) أصول التربية الوقائية للطفولة للدكتور حسين با نبيلة، ص 15-16، وتربية الأطفال لمحمد حامد الناصر.
7) الدّراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ط1، دار صبحي، غرداية، الجزائر، 2015م.
8) -. عمّار الطالبي: آثار ابن باديس، ط3، ج2، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997م.